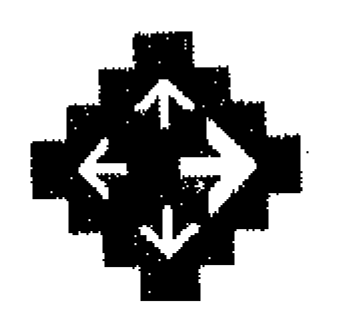


محمد عباس

فوضى لا أتقنها



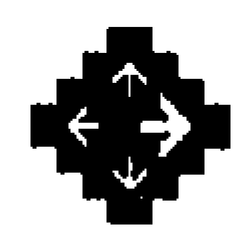
سلسلة كتاب شرقيات للجميع (٣٧)

فوضى لا أتقنها

فوضى لا أتقنها

محمد عباس

الطبعة الأولى ١٩٩٧



دار شرقيات للنشر والتوزيع

٥ ش محمد صدقي، هدى شعراوي

رقم بريدى ١١١١١

باب اللوق، القاهرة

ت: ٣٩٠٢٩١٣ س. ت: ٢٦٩١٩٨

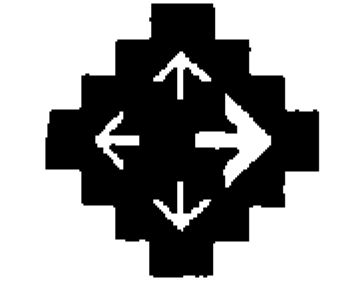
غلاف واخراج: ذات حسين

رقم الإيداع ٧٣٣٢ /١٩٩٧

الترقيم الدولي: ISBN 977-283 - 052 - 3

فوضى لا أتقنها

محمد عباس



لقد عادت الأحلام

« لقد عادت الأحلام هذه الليلة أيضاً
لماذا الذكريات الملحة لكل هذه الأمور ؟
ولماذا لا يكون الموت وحده بلا هذه
الموسيقى الرقيقة الآتية من الماضي ؟ »

(*) هذا المقطع والمقاطع التي تسبق كل فصل، من رواية خوان رولفو «بيدرو بارامو» ترجمة صالح علماني

تشابك الأيدي

الشجرة التي وقفتْ بجانب الحلم
وتُعلِّقُ الضوءَ بين الشهيق والزفير
لم يكن بها فضاء
حتى تُصْعَد المضاجع إلى تشابك الأيدي
ولم يكن لَيدي أن تسحبها من الرأس ..

لنقل إن العالم صار حديقة الحلم المُشاعة
وإن الذكرى تركض بأشباحها صوب اللحظة القادمة
وإن احتلام السماء
سينثال كل صباحٍ على الفِراش ..

لنقل إن العالم يشحذ إمكاناته
ليبقىَ في الحلم أطول وقتٍ ممكن
وإن شخصاً آخر سيقتحم الحلم حافياً
مُمَهِّداً لغُزاةٍ سيحتلون جزءاً منه

في اختبار المعرفة الأولى

لا فائدة إذن
من الاستمرار فيَّ
وعليَّ أن أُبدل الصباح باحتمالات أخرى ..

سأستيقظ حتماً
ولكنني سأنسى الشجرة داخل الحلم.

❖

السادسة ..

السادسةُ
ميعاد وصولِ
ملاك السقف

أمي ترعى أيامها
والفصل الأخير من هاملت
في النافذة أمامي
بينما أبدأ أنا
حَمّام كل صباح
من فمِ أصدقائي

الطريق يتكور
والسماء تخشى
اكتمال آخر قمر.

(.....)

وأن سماء عارية
تحللت لتوها من عفن النوم
وبحراً خرج ليلاً
حيث تشتعل الأصوات
لاقتراب امرأة محمومة
يضيق بها الملمس
وفي الكف الآخر
منازل تطرد الرأفة
وليل يهمس لانفراط الماء
وصباح يحفر لصباح آخر

زمن مضى
استقطع لنفسه خطوات
على زُلالٍ خفيف

كتبتُ الليلَ بيدي
وأنحني الآن لانكسار الضوء

ذلك قلبي
ونجاتي منه
أشبه بثقب فريسة تصرخ
وإذ أبقى في العراء
تحدثني صورتي بعيداً
عن اقتحام المرأة
أكتبُ الشعر

وأدنو بالموجة إلى الحلم
كل الآخرين تقلصوا في المساء
فهل لأني مأخوذ لأمل مؤجل
أم أن القيامة تأجيل مستمر
دمعة ترفع الطهارة لمطر موكول إلى صدري
والموت وحده هو الذي سيفتن بي

❖

لا لزوم للمطر

تخرج من الظل
صوب الحلم المتعرّي
بانقضاء شهوته
حيث لا للسلالم أن تُصعد
مزيداً من الضوء
ولا للبحر أن يعلو فوق صورتك

لا لزوم للمطر
فالقبر كاف لارتواء محنتك

ومارغبت في خلاءٍ جديد

الآن لا سكون يربك عظامي
لا ملح كافٍ لنمو الأرض
تخطو في اتجاه الوقت

حيث قرى حمقاء
ودروب ترهقها الفرائس
حيث آخر يقظة للمرأة.

❖

بحسب دموع الغرقى

ورأى أنه
شجرٌ صمغي ينمو
في روحٍ باردة
وأن الليل يلهو كعادته
في أعماق النهر

وأن القمر يفلت في زهو اكتماله
من إبط تلك المرأة
التي جاورته يوماً في قبره ..

الوقتُ يتقدّم في اتجاهٍ آخر ..

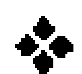
ليس للحجرة نافذة
ولا باب
ولا سقف

والجدران ترحلُ
في مراكب اللون القرمزي

الذاكرةُ تعبرُ خلف نوايا الأرض
وأنَّ بحراً في انغماس شهوته
قابضٌ على أولِ الشارع
بينما هيئته ممسوخة
بحَسبِ دموعِ الغرقى ..

فأيُ هياجٍ بإمكانه جعْل الفرار هادئاً.

لأن الحلم ينمو على مُعاينةِ ماضٍ مفقود بماضٍ قَبله .
فإني أُعاود تسلّق النهر مُعايناً جثث أصدقاء أعرفهم
ولأن الفَقد يمنحني أحياناً مُتعة البحث وراء ترتيب الأشياء .
فإني ألهثُ وراء انفصال القطن عن جسدي .. وعَن البكاء.



أتؤمنين بالجحيم..؟

« ـ أتؤمنين بالجحيم يا خوستينا؟

ـ أجل يا سوزانا وبالجنة أيضاً..

ـ أنا أؤمن بالجحيم فقط.

قالت هذا وأغمضت عينيها »

الطريق مع الصاعدين

عليه
انثالت أقدام المارة
فغمره الإثم

سأشرب
من قلب هذا الطريق
الذي لفظ أنفاسه
قبل أن يتحمل ثقل خطواتي

أنا
دلالة جديدةّ
على فضاء اختلافي
عن زفير
أمي.

كالفراشة التي تعاهدت
مع النار على حياتها
أنا وهي
وثيقة تليق بالمتاهة

أحلم أن أجد بديلاً لهذا الصباح
وأن أرحل مع اللغة
إلى الحجرة المقابلة
حيث للمساء هناك
أشباه عديدة

أترك أثري
لأنوثة البحر

أحترق
تاركاً للأشباح قمراً
لا يجيد رصدي
في هذه اللحظة

صندوق أسود
لي ولك على مقعد القمر
والحياة في ليل وحشتها
سماء تداعب الأرض
من بعيد

اشتبه بغلاظتي
ونحن الموتى
الموجعين بالشهيق والزفير
نعود الآن وننهض
إذ ... لا طاقة للمرآة.

أبي
الذي تسلل
اللون الأصفر
من بين أنيابه
كَشفَ
عن امتدادٍ بشعٍ
للعنات الآلهة الشَرعية.

الموجةُ التي تعود إلى أصلها
تقهر الخوف
في عُرس أمي

كثرة الاضطراب
تُنجب الكثير من الآلهة.

ذلك الجدار
الذي انثال على المساء
وتلاشى
ثم تبعه جدار أكبر
فأكبر

❖

الصباح مِحنة

أُوجِّه أيامكِ
صوب مكانٍ
هو افتعالٌ آخرً
لتساقط كل الرجال
من شجرتكِ ..

أُلملم عظاماً منكِ
انسحقتْ
عبر رغبات الآخرين
دون أن أدري
أن حياةً تمرّ
أنَّ كل قمرٍ، هو خيانات أخرى
تُمهِّد لفقدٍ منتظم

❖

محفور في جسدي

الصباح الذي في فمها
يتثاءب بأسرارها
وبالكاد يحتمل الليل
وأنا محفورٌ في جسدي
أُرفع عن السماء
ولا تأخذني الرحمة

ذكريات تنتحب لمحاذاة المحنة
وأخرى تموت على كفي

أنطلق في فراغ طليق
ومارغبت في حداد البحر

هاتان يداي وهذه لم تولد بعد
فأي قُبلة تحقق ما أحلم به
أو تسوقني إلى موتي

كل ذكرى هي أنت

بسلام قلبك
أو بجفاف ريق السماء
يا من أتيتِ من موضع الأسرار
كل ذكرى هي أنت
يا من ارتفعت في الأفق
الشمس حاضرة أيضاً
في دورتك الدموية
تلهو برجال آخرين
وعطرك الذي أسال العدم
لم يعد إلى قلبي
حتى أخبرك باسمك

❖

صورة

لن يُعاودكِ الثلج
فقط
سأحصدُ من على جسدكِ الأيام
التي أكلت
من أسنان البحر
وسترحلين مع الرخام
إلى سيرةِ هذا الموت.

❖

غياب القُطن

مثلما تحتلم الفكرة
على فستان امرأة
يرتبك إبط القمر
ويبتل ذهن الثلج في غياب الأسماء

الوردة التي على نهدها
أشعلت الموت
لاستغاثةٍ طويلة ..
فالليل مقعد الجنون
وغياب القطن
روحٌ مُهْمَلَة للأحداث ..

(.....)

ليس اسمك
ولا الذهن المستيقظ لإعداد المحنة
ليس كوني منحوتاً في قبري

المنازل تتسلق الغواية
لتتعاطى ما تبقى من فضاء ثمل
وها قد أصبحت ذكرى
شبكة أوشكت على العراء
سماء سيقانها في موج طائش

كنت أعبر المرايا برأس مشقوقة للعتمة
ويد مختومة بحلم ينحني لتراشق المطر

فلا الذكرى
ولا الظل المشتعل لمرور عطرك
سينجب نحيباً يأخذ المسار
لمخيلة تهتز كلما كنت هناك بالجسد
وكنت وحدي أشرف على هلاك الليل

(......)

أيتها الوحيدة الواحدة
عندما تُعلنُ تلك الظُلمة
عن مكانٍ آخر
في جسدكَ
عن انتصار فخذيك
عن نهاية المشهد القُطني ..

جئتُ لأحوم حولكِ
فلا أجد رائحةً
للصباحِ القادم
فأنا الروح الكاملة
في نهدك
أنا سماؤكَ
دون محنة.

❖

مع بداية الفجر

« ـ مع بداية الفجر يأخذ النهار بالدوران
بشكل متمهل، وتكاد تسمع مفصلات الأرض الصدئة
وهي تدور وتذبذب هذه الأرض الهرمة
التي تقلب ظلامها .»

الأمراض

إلى عثمان حامد سليمان

ما رغبنا فيه
كان بيوتاً تسردُ الحكايات
لليلٍ يجهشُ بقلقهِ

ما رغبنا فيه
لم يعد في الاحتراقِ فضاءً مُتقناً
حتى ننمو تحته
ولا مُحتمَلاً
حتى نرفعَ يديه رافضاً ..

الحنينُ
يتبدد في الأزقة المجاورة
والأسماء
تمتدُ قبوراً بحرارة القطن
وربما نفلتُ من الليل ..

الأمراضُ العالقةُ بين الجدار والنافذة
ستغمرُ السماء بالحسنات
وستُهدي قلوبنا لشتاءٍ قديم

رائحة المارّة تحجب زيارة الملائكة
ونواياكَ عاطلة
فأَنْ نفقد الآخرين
أَنْ نتجنّب اتساع الأرض.

❖

لم تبدو هكذا ؟

إلى طارق الدويري

سأطلقك من الغيمة
ليكون لنا مراسم تُرددٌ الصوت
فحضور الليل أشبه
بمعارف قاسية

من جديد
تضرب الشمس بنصف يدك
وتعبر إلى منازل تجرح المنازل
صوت ينحدر على ظلي
يخطف الرغبة
ويعدّ الصباح لانقسامات جديدة

لم تبدو هكذا ؟
ينسكب المساء بين أصابعك
والمرايا لاغفاءة فارهة

لم لا تجيد رصدي ؟
ولماذا أسدد في هذه اللحظة ؟

❖

لغة مفهومة

الله لا ينظر إلى نفسه
حتى يعيد لي التنفس بسهولة
ويحيل وجه السماء
إلى لغة مفهومة

الأرض شبيهة بغريق آخر
وها أنا أحرس الوقت

الزفير بصمت يعبر المذاهب القديمة

أقفل على الصوت
لأغادر قسوة الصلاة
أستعيد الموسيقى من ملح أمي
كي أفقد اتساع الأرض

صدق أن القلب افتعال أبيض

❖

زوال الصوت

تخرج من أرق السماء
لفوضى لم تتقنها
تفلت من الظل لحشد الثائرين من الموتى

تمد يدك كقبضة تحكم
لتنحدر على الشرفات العالية
حيث تتفتت أسماؤك
كوحشة تهذي

هل لأنك مأخوذ لصياغة القبر
وموكول لذاكرة تنهش الضعف
تعيد سرد المحنة
وتدحرج الآلهة لحصون مرهونة
بزوال الصوت

وأنا في الليل قِبلةٌ مشدوهة
حتى تقاطر الحَيرة

أحسبك مشهداً مطلوقاً
لوجود يهمس
ويحسبك الكون مخطوفاً
لعصيان ذهنه.

(........)

اقترب بأشباحِك

ينبغي أن تُبَدَّد بعيداً
ذلك إن رغبتْ الروح، أن تفيق مِن حدادها

يدها صوب الأرض
أبعدُ من ثيابها
قلبها الَأحمر
يضخُ السماء دون رأفة
مُعيداً لي زهوي بالفشل ..

الأثرُ لم يكن طفلاً بحسب الجسد

❖

نافذة مفتوحة

على الرصيفِ المُقابل
يقف مساء آخَر
وظلٌّ يشبه بعضاً مني

.. الجميع في رحلة جنائزية
إلى السماء
ـ حيث الفرصة قائمة
لتعاطي كمٍّ أكبر
من الفقد ـ
تاركين الطريق عارياً
إلا من أيقونةٍ لأمي
ترتعش من برد قديم

❖

الظل

ماذا بعد، ..

ـــ سيُؤسس العالم لنفسه
مُحْتَمِلاً مادتي بوجودٍ آخر .. ؟

ـــ الله لم يصنع لنفسه شيئاً
ولكي أعود في ثوبٍ جديد
يُرهقني القمر
وأُرْهِقُ نفسي باكتماله.

(.........)

ما بعد السماء
لن يكون سوى قدومِ الآخر

أنتِ مُستترةٌ
وفيَ الرحم
أنتِ تلك الشمس
تبكيَن هناك......

❖

غيمة مطرودة

المدلول عسير بحسب الجسد
حيث حضور الليل بالعاطفة
يحصر عمليات رفع الروح
ويكافئ الملائكة لإدراك النوم

يؤسس لكائن خرافي
ويضع الحدود بين الحلم وأظافر الغواية

الفؤاد غيمة مطرودة
واشتعال الذهن أقرب للعين
من خرافة البصر.

❖

فضة لا تمر بيدك

بالضرورة
للقمر اكتمال بارد

القراصنة شيشنقونه يومًا

بالضرورة
سيخفق الصباح مرة
وأن حيرة الرمال سوف تنهمر كالغيم
على ما تبقى

ذلك دليل البياض
موج بلا خطيئة
وفضة لا تمر بيدك
فضة أرجأت الموت لغياب النموذج

لست أنا التي تريد
سأحمل الشمس
وأتهيأ كعادتي لصلاة الاقتراب
سأخطف من النهر عتمته
وأسمي بها اغتباطك لامتداد اللذة

(.......)

لن أُعانقها
تلك الظلمة
فقط
سوف أُشعل القنديل
ربما
لا يتسرب هذا القمر
الذي اكتمل في ظلمةٍ قديمةٍ
مُشابهة.

(.......)

البحرُ
يُؤلم الموتى
ويُدير رأس الأرض
إلى ذاتها

❖

لم يكن ثمة هواء

« لم يكن ثمة هواء ، كان عليَّ أَنْ أمتص
نفس الهواء الذي يخرج من فمي، وأن استوقفه
قبل أن يذهب، كنت أحس به،
وهو ينقص في كل مرة، إلى أن أصبح خفيفًا جدًا
وانفلت من بين أصابعي إلى الأبد
ـ أقول إلى الأبد »

ميتٌ غيري

وعما صار في تلك الليلة
أنهم وآخرين ممن لا أعرفهم
تسللوا إلى قبري
حيث اكتسى الموتى جواري
ذكريات مزخرفة
ومبتلة بدموع الأصدقاء

كنت أحدّث جثتي
عن الثمر الذي يطفئُ الشمس
وحافة السواد التي تركض
دائماً أعلى من منزلنا

جلس الوقت على أحد المقاعد
يحتسى قليلاً من أبي
الذي جلس بدوره على كرة الأرض

وترك للبحر أن يستدير
حول جسدي المتقصف
في مادة وجوده

غير أنى في هذا المساء
كنت أقل مما كنت
أجمع الهواء للشرنقة التي في رئتيً

كنت لا أقوى على الصعود
كنت أهبط ويهبط معي الموت

أفتح لك صدري
فأعبث بإعادة ترتيب
أعضائي الداخلية
الآن طالت يدك حياتي
وكدت أن تقتلها

الآن أشفق على صوتك
وأدخر وحدتك لآخرٍ غيري

الليلة لم تظل هكذا
فالقبر دخله ميت غيري
والذاكرة التي انتمى إليها جاري
شاءت لروحي أن تنكسر

والآن تعودين
مقبوضة بعزلة الليل.

(.....)

أثقل ما يكون
للبحر إغراءات أخرى
وتثاؤب الموت
يهِب الجدار غربته
حيث تنمو الروح
ويتعرى الحلم لغريزة قديمة

❖

فقيدٌ آخر

في الطريقْ
يكتمل ذلك القمر
ماحياً صوتي
بينما أُحاول أن أُشابهه

لي ذاكرةُ جسدٍ في التراب
فهل يسبقني
إلى اللغة ..

❖

آخر قطرة من يدي

أفتح صدري لإمكانية الموت الذي سيصحبني إلى عوالم تتقصف
فيها ذيول الأصدقاء، فأجد تاريخي في عهد القراصنة الذين انتهوا،
ليحيلوا الموت على قوّتهم .
والذين استولوا بحماقة على آخر قطرة من يدي، تلك التي تعوّدت
أن تقودني إلى فقدها .

الذاكرة تركض خلف نوايا الأرض
والنوم يتهادى
كي أسدد فيه مزيداً من الوقت.

❖

الثالثة

وبعض قشور الحيرة
غير أني أتهيأ لشجن كل صباح
أتقاطر مع الكلمة
ولا ينفد من العتمةِ الجسدُ

ما رغبت للظل أن يتيبس هكذا
فلطالما متُّ كفكرة
تؤرجحها أصوات
في حين تجلس الروح
على حافة فقدان آخرين

❖

إلى صلاح عبد المحسن

أقل من صمتٍ
يُعاود القطن نسيانه
يفتح لنا أعينَ
ترصد الملائكة
تُوثقهم في الليل
وتُحاسب الآلهة على كل شيء

أقل من فرار
تخطو أرواحنا في هدوءْ
تسكن أجنة المكر
وتلهو بضياع الأسماء
فنحسد الموت على
بهاءِ قدومه للآخر.

❖

لن أموت

كاختبارٍ أَوّلٍ للفراغ
الوردة في الحلم منتشية
بفضاء قلبها
ولم يعد لها مكان

لن أموت
كي لا يبقى الجسد مشدوهاً بالقطن والقمر
فالشمس تَهبُ الصباح للعاطلين
وأَهبُ هشاشَةَ يديً
للقَادمين عَبر قطرة من حيضها

فكيف أختصرُ قلبي إلى الأرض
وهذا القلب صلاة عمياء.

(......)

ماذا لو أُطفِئ هذا القنديل
حتماً
سيستيقظ هذا التراب
بعد نُعاسٍ قصير
وسوف أتعثّر في عظام من يرقد بجانبي
وفي الدم المُسال
عبر تَهَشُّم روح أصدقائي
المزيد مِن أصدقائي
حتماً
سوف أعثر على أُمي.

❖

مِن بعيد

تبحثُ عن دلالةٍ
مُغايرةٍ
لحركةٍ
مُمزقةٍ
في مادة الجسد
أو عن التوقف
لمدةٍ
أقل ..

الفَقْدُ
طاقةُ الليلِ
وصيرورة الوجود.

❖

مروراً بالجسم

الضوء الذي انثال
من انفلات الفكرة
مروراً بالجسم
يعاود تحليلي إلى فتات
شاقاً خلفه قبري
غير أني أتباطأ
حتى ينكسر الظل على النوافذ
ويعود كإغفاءة تكشف فراغ الحجرة
فاليقظة أجنحة المكر
والهواء دهاليز عتمة تسقط
الصوت من يدي
أتباطأ حتى يهرب الليل كالزهو الفالت
حتى يكون لي قبلة تضاهي خفقات الأرض
وأرجوحة تمتد مع الوقت

كم هو ضيق هذا الصباح
مسار يتأرجح على خيط حرير
إلا أني أهيئ المائدة لموت جديد
وأصعد الموسيقى لممرات مظلمة
أحدثهم عن الليل في الليل
وأنام حتى أؤخذ على جسد
يوقظ التقاطر إلى مشهد راقص
الآن أنا خضرة مسفوحة
كانطفاء الشمس
أشد ضعفاً من نهد ينام
أرحل لصوت مقفول
وأصل الصمت بهذيان البحر
وأقسم الأرض لخلاءات جديدة

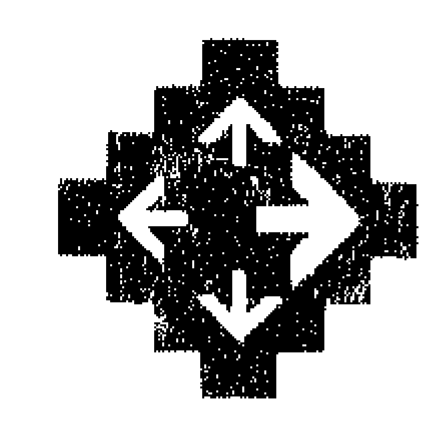
ما الذي سيعود بي إلى الرحيق
غير وسادة حملت دهشتها
وجسد أحوجة انفلات الليل.

❖

المحتويات

❖

مطابع انترناشيونال برس ت : ٢٤٧٤٢٥٩



صدر في هذه السلسلة:

(١) أيام من حياتي ❖ هرمان هسه
(٢) قصص التحول ❖ جوجول، كافكا، روث
(٣) أثر العابر ❖ أمجد ناصر
(٤) من مجمرة البدايات ❖ محمد عفيفي مطر
(٥) حمار البحر ❖ خالد عبد المنعم
(٦) خطوط الضعف ❖ علاء خالد
(٧) ممر معتم يصلح لتعلم الرقص ❖ إيمان مرسال
(٨) ثمة موسيقى تنزل السلالم ❖ علي منصور
(٩) صمت قطنة مبتلة ❖ فاطمة قنديل
(١٠) شهرزاد في الفكر العربي الحديث ❖ د. مصطفى عبد الغني
(١١) إغواء الغرب ❖ أندريه مالرو
(١٢) لا أحد يأتي هذا المساء ❖ محمد موسى
(١٣) حوريات البحر ❖ إدوار الخراط
(١٤) حواس خاسرة ❖ منعم الفقير
(١٥) طيور جديدة... لم يُفسدها الهواء ❖ طارق إمام
(١٦) سرَاب التريكو ❖ حلمي سالم
(١٧) صورة شخصية في السبعين ❖ چان بول سارتر
(١٨) ١٠٠٠ وليلة ❖ صفاء فتحي
(١٩) أيورق الندم ❖ سعد الحميدين
(٢٠) في البحث عن لؤلؤة المستحيل ❖ د. سيد البحراوي
(٢١) الدليل اللغوي العام ❖ سليمان فياض
(٢٢) الأفعال العربية الشاذة ❖ سليمان فياض
(٢٣) قصة الأدب الفرنسي ❖ د. أمينة رشيد
(٢٤) معجم تفسير الأحلام في ضوء علم النفس الحديث ❖ توم شيتوايند
(٢٥) لماذا؟ ❖ إدوار الخراط
(٢٦) الكتابة ❖ مرجريت دوراس
(٢٧) معجم الجحيم ❖ سيف الرحبي
(٢٨) في مستوطنة العقاب ❖ فرانز كافكا
(٢٩) غواية موتي ❖ سلوى نعيمي
(٣٠) أصوات مراكش ❖ إلياس كانيتي
(٣١) إن تغنت القصائد أو انطفأت فهي بي ❖ فوزية شويش السالم
(٣٢) أبعد من زنجبار ❖ محمد الحارثي
(٣٣) أناشيد ❖ محمد يوسف
(٣٤) فضاء المراثي ❖ عبد الله السمطي
(٣٥) المشي أطول وقت ممكن ❖ إيمان مرسال
(٣٦) فحم التماثيل ❖ محمد عيد إبراهيم